

# هكذا تصنع ألمانيا الفزاعة الإسلامية

الخميس 12 سبتمبر 2024 11:31 م

تجد ألمانيا نفسها عند نقطة تحول تاريخية يمكن أن تعيد تعريف ما تمثله وما تريد أن تعرضه للعالم. ومع تحقيق أقصى اليمين لتقدم انتخابي كبير، تعيش البلاد أزمة هوية عميقة، وتواجه تحديات اقتصادية واجتماعية بنيوية خطيرة. ينتشر القلق الألماني، وكما حدث في العديد من المرات في تاريخ الأمة، تم العثور بسرعة على الفزاعة. بينما ازدهر الديماغوجيون والشعوبيون في جمهورية فايمار قبل قرن من الزمان على "إقصاء" اليهود الألمان، فإن هذا "الآخر" اليوم هو المهاجر - وبشكل أكثر تحديداً، أولئك الذين لديهم خلفيات إسلامية. لقد أدى عقد من الخطاب السام حول الهجرة والإسلام الذي روج له المحرضون اليمينيون المتطرفون من حزب البديل من أجل ألمانيا (AfD) إلى تطبيع وتعميم السرديات والأيقونات التي تعتبر في الديمقراطيات الأخرى خطاب كراهية. وكان أحد الأمثلة المروعة بشكل خاص مقطع فيديو رسمي نشرته وزارة الداخلية في بافاريا تحت عنوان "فخ السلفية". أظهر الفيديو المتحرك على غرار الميم، والذي تم حذفه منذ ذلك الحين، رجلاً يرتدي زياً إسلامياً يتحدث إلى امرأة شابة على وسائل التواصل الاجتماعي حول العكاج. ثم اتخذ الفيديو منعطفاً شريفاً، حيث ركز على ضحك الرجل الشرير بينما سحق فمه الشيطاني المرأة الشابة، التي ظهرت وهي تنتقل من الرقص في ملهى ليلي، إلى ارتداء الحجاب في الأماكن العامة، إلى ارتداء النقاب والقيام بالأعمال المنزلية في جميع أنحاء المنزل، تحت سيطرة زوجها في الخلفية. يمكن رؤية وجهها يتحول من السعادة إلى الحزن. أيقونات كهذه تشبه الرسوم الكاريكاتورية المعادية للسامية التي نشرتها نشرة "دير شتورمر" النازية في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. إن الابتسامة الشريرة، والارتعاش الشيطاني، والضحك الشرير، توهم "الآخر" بأنه شرير. وفي الوقت نفسه، تظهر المرأة المسلمة الشابة على أنها بريئة، وساذجة، وتابعة - غير قادرة على اتخاذ القرارات بنفسها، لأنها تحت تأثير الرجل، الذي يجبرها على تغطية نفسها، وبالتالي تعزيز الصور النمطية المعادية للإسلام.

## نظريات المؤامرة المعادية للإسلام

تستند الرواية الأساسية إلى نظرية مؤامرة قديمة معادية للإسلام. في مقال استشرافي عام 1913 بعنوان "خطر النزعة الإسلامية الشاملة"، رسم ألبرت إدواردز صورة قاتمة لمؤامرة إسلامية شاملة عالمية ضد القوى الغربية، حيث قدم النشاط السياسي باسم الإسلام باعتباره تهديداً أساسياً للغرب. وكما هو الحال في بلدان أوروبية أخرى، أصبح هذا النهج الواسع النطاق للإسلام السياسي مقبولاً على نطاق واسع في التيار الرئيسي الألماني، حيث يُنظر إلى أي شكل من أشكال النشاط الإسلامي باعتباره "مخدرًا محتملاً" لعالم التطرف. على غرار القصة التي رواها الفيديو الذي نشرته وزارة الداخلية في بافاريا، يتم تصوير أي اتصال بالخطاب الإسلامي على أنه يضع المشاركة تلقائياً على حزام ناقل من الإسلاموية المعتدلة إلى الإرهاب على غرار تنظيم القاعدة. لقد تم دفع "نظرية الحزام الناقل" التي تم فضحها كثيراً من قبل شبكات إسرائيلية والإماراتية في مجال مكافحة التطرف في محاولة لتأمين الإسلام السياسي بجميع أشكاله وأنماطه المتنوعة. الفزاعة الإسلامية هي سرد تبسيطي جميل في إثارة الخوف الشعبي. من بين المسلمين في ألمانيا الذين يبلغ عددهم نحو 5.5 مليون نسمة، يقدر عدد السلفيين المتطرفين بنحو 12 ألفاً فقط، أي ما يعادل 0.2%. ومع ذلك، كلما ارتكب أفراد محرومون ومنبذون جريمة عنيفة باسم الإسلام - كما حدث قبل أسبوعين في مدينة زولينجن - تعمل التيارات السياسية والإعلامية الرئيسية في ألمانيا على تأجيج نيران معاداة الإسلام.

## الخطاب المتغير

في عصر يخشى فيه كثير من الألمان خسارة أشياء كانت تعتبر حتى ذلك الوقت أمراً مسلماً به - وهو التعريف الحقيقي للقلق الألماني - فإن "إقصاء" المسلمين يقع على أرض خصبة. ومع وصف بلادهم مرة أخرى بـ "الرجل المريض في أوروبا"، يرى الألمان أن اليقينييات القديمة تختفي. مركز القوة الصناعية في انحدار، والبنية الأساسية الحيوية في حالة يرثى لها، والازدهار العام والقوة الشرائية في دوامة دائمة، والزعامة السياسية في حالة من الفوضى. وفي الوقت نفسه، تثقل معدلات المواليد المنخفضة نسبياً والشيوخة السكانية كاهل المستقبل الديموغرافي لألمانيا. لقد استكملت العديد من اليقينييات القديمة التي سادت بعد الحرب العالمية الثانية فيما يتصل بالقوة الاقتصادية والصناعية العناصر العرقية التقليدية التي تشكل الهوية الألمانية بعد عام 1945. وكان شعار "صنع في ألمانيا" مصدراً للفخر الوطني لبلد كان عليه أن يتصالح مع العبء التاريخي المتمثل في المحرقة. لعقود من الزمان بعد الحرب العالمية الثانية، لم تعد الهوية الألمانية - التي كانت دائماً أكثر صعوبة في التعريف مقارنة بدول مثل إنجلترا أو فرنسا، حيث كانت حدود الدولة والإقليم تتداخل إلى حد كبير مع الحدود الثقافية واللغوية - تُعزّف سلباً بما لم يكن الألمان عليه، بل بما كانوا يجيدونه. ولكن اليوم، يتزايد التفسير السلبي مرة أخرى، وليس فقط في دوائر حزب البديل من أجل ألمانيا. فقد احتفظ الاتحاد الاجتماعي المسيحي في بافاريا لسنوات بالغموض حول ما إذا كان الإسلام ينتمي إلى ألمانيا. وبالتالي، ارتبط التسامح تجاه الإسلام في ألمانيا على نطاق واسع باستيعاب المسلمين ثقافياً، بدلاً من مجرد الاندماج، في المجتمع الألماني. وبوجه أولئك الذين يُنظر إليهم بوضوح على أنهم مسلمون التحيز والكرهية والعنف، ليس فقط من الأطراف السياسية المتطرفة، بل وأيضاً من أجزاء معتدلة من المجتمع.

إن مقطع الفيديو الذي نشرته وزارة الداخلية ليس سوى أحد أعراض التحول الأوسع في الخطاب الألماني حول ما يعنيه أن تكون ألمانياً، والدور الذي يلعبه الإسلام في هذا النقاش، وبدلاً من منع التطرف، فإن هذه الاتجاهات لن تؤدي إلا إلى تأجيج الاغتراب والحرمان من الحقوق بين ملايين المسلمين الذين يعتبرون ألمانيا وطنهم.

ولكن اليوم، يتزايد التفسير السلبي مرة أخرى، وليس فقط في دوائر حزب البديل من أجل ألمانيا، فقد احتفظ الاتحاد الاجتماعي المسيحي في بافاريا لسنوات بالغموض حول ما إذا كان الإسلام ينتمي إلى ألمانيا وبالتالي، ارتبط التسامح تجاه الإسلام في ألمانيا على نطاق واسع باستيعاب المسلمين ثقافياً، بدلاً من مجرد الاندماج، في المجتمع الألماني.

يواجه أولئك الذين يُنظر إليهم بوضوح على أنهم مسلمون التحيز والكراهية والعنف، ليس فقط من الأطراف السياسية المتطرفة، بل وأيضاً من أجزاء معتدلة من المجتمع.

إن مقطع الفيديو الذي نشرته وزارة الداخلية ليس سوى أحد أعراض التحول الأوسع في الخطاب الألماني حول ما يعنيه أن تكون ألمانياً، والدور الذي يلعبه الإسلام في هذا النقاش، وبدلاً من منع التطرف، فإن مثل هذه الاتجاهات لن تؤدي إلا إلى تأجيج الاغتراب والحرمان من الحقوق بين ملايين المسلمين الذين يعتبرون ألمانيا وطنهم.

<https://www.middleeasteye.net/opinion/germany-manufacturing-islamist-bogeyman-how>